مجموعة قصص الأنبياء

بإشراف
محمد أحمد برانق



١٦

يونس

تصدرها
دار المعارف

مجموعة قصص الأنبياء

(١٦)

بإشراف
محمد أحمد برانق

يونس

الطبعة الحادية عشرة

دار المعارف

١

كَانَ يُونُسُ بْنُ مَتَّى رَجُلًا تَقِيًّا صَالِحًا ، عَاشَ فِي بَلْدَةِ نِيْنَوى عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ أَيَّامَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ مِنَ الْفُرْسِ بِمِئَاتِ السِّنِينَ .

نَظَرَ إِلَى قَوْمِهِ وَآلَمَهُ ما كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ كُفْرٍ وَفَسَادٍ وَجَهْلٍ ، فَقَدْ وَجَدَهُمْ يَنْحَرِفُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وَهٰذِهِ الْأَصْنَامُ كَانَ يَكْثُرُ عَدَدُهَا بِتَوَالِي السِّنِينَ وَالْأَيَّامِ ، وَكَانُوا يَنْسِبُونَ إِلَيْهَا كُلَّ خَيْرٍ يُصِيبُهُمْ ، وَيُقَدِّمُونَ لَهَا الْقَرَابِينَ وَالنُّذُورَ لِتُبَارِكَ فِي مَحْصُولَاتِهِمْ ، وَلِيَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ سُخْطَهَا وَغَضَبَهَا .

وَوَجَدَ يُونُسُ أَنَّ الْمَلِكَ وَالْأُمَرَاءَ قَدِ اسْتَغَلُّوا جَهْلَ هٰذَا الشَّعْبِ السَّاذَجِ ، وَنَسَبُوا أَنْفُسَهُمْ لِهٰذِهِ الْأَصْنَامِ ، فَادَّعَوْا أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ الْآلِهَةِ ، وَصَدَّقَ الشَّعْبُ دَعْوَاهُمْ ، فَآمَنَ بِهَا ، وَصَارَ يُقَدِّسُهُمْ ، وَيُحَاوِلُ الْفَوْزَ بِرِضَاهُمْ ، وَالْبُعْدَ عَنْ نِقْمَتِهِمْ .

هٰذَا الْمَلِكُ ابْنُ الْإِلٰهِ الْأَكْبَرِ ، الَّذِي يَتَصَدَّرُ صَنَمُهُ بَهْوَ

الْمَعْبَدِ، وهٰذَا الأَمِيرُ ابْنُ إِلٰهِ النُّورِ، وَذَاكَ ابْنُ إِلٰهِ الظَّلامِ، وَغَيْرُهُ ابْنُ إِلَهِ النَّارِ وَالشَّرِّ وَالْمَطَرِ، وَمَا إِلَى ذٰلِكَ مِنَ الْأَصْنَامِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي نَحَتُوهَا مِنَ الْأَحْجَارِ وَعَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللهِ.

وَجَدَ يُونُسُ قَوْمَهُ قَدْ ضَلُّوا فِي عِبَادَتِهِمْ، وَنَسُوا اللهَ خَالِقَهُمْ وَرَازِقَهُمْ.

ضَلوا فِي حَيَاتِهِمْ، فَكَانُوا يَكُدُّونَ وَيَتْعَبُونَ طُولَ الْعَامِ، ثُمَّ يُقَدِّمُونَ ثَمَرَةَ غَرْسِهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي صَنادِيقِ النُّذُورِ لِلْآلِهَةِ وَأَبْنَاءِ الْآلِهَةِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ، وَيَعِيشُونَ هُمْ وأَوْلَادُهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ عَلَى الْكَفَافِ فِي فَقْرٍ شَدِيدٍ.

الْفُقَرَاءُ فِي شَقَاءٍ: لَا يَعْطِفُ عَلَيْهِمْ إِنْسَانٌ، فَالصَّدَقَاتُ كُلُّهَا تُوضَعُ فِي صَنَادِيقِ النُّذُورِ لِلْآلِهَةِ.

النِّسَاءُ فِي شَقَاءٍ؛ لِأَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ يَعْمَلُونَ طُولَ النَّهَارِ فِي مَزَارِعِ أَبْنَاءِ الْآلِهَةِ.

الْأَطْفَالُ فِي شَقَاءٍ وَإِهْمَالٍ؛ لِأَنَّهُمْ مَحْرُومُونَ عَطْفَ الْأُمَّهَاتِ الْكَادِحَاتِ، وَمَحْرُومُونَ ثَمَرَةَ كَدِّ الْآبَاءِ الْكَادِحِينَ.

وَالْكُلُّ كَالسَّمَكِ يَأْكُلُ الْكَبِيرُ أَمْوَالَ الصَّغِيرِ،

وَيَفْتَرِسُ الْقَوِىُّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ.

يَرَى يُونسُ هٰذَا وَذَاكَ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ، حَيْثُ الْمَزَارِعُ وَالْحُقُولُ، وَيَرَى هٰؤُلَاءِ الْمُسَخَّرِينَ، فَيُحَاوِلُ أَنْ يُفْهِمَهُمُ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ نَحْوَ اللهِ، وَيُبَيِّنَ لَهُمْ خَطَأَ عَقِيدَتِهِمْ، فَلَا يَجِدُ مِنْهُمْ إِلَّا نَظَرَاتٍ زَائِغَةً، ثُمَّ يَفِرُّونَ مِنْ أَمَامِهِ هَارِبِينَ، كَأَنَّمَا يَخْشَوْنَ أَنْ تُلَوِّثَ كَلِمَاتُهُ آذَانَهُمْ فَيَكُونُوا عُرْضَةً لِسُخْطِ الْآلِهَةِ وَأَبْنَاءِ الْآلِهَةِ.

يَعُودُ يُونسُ إِلَى الْمَدِينَةِ آسِفًا، فَيَجِدُ النَّاسَ يَتَمَسَّحُونَ بِقَوَاعِدِ الْأَصْنَامِ، وَيَلْعَقُونَ أَقْدَامَهَا، يَلْتَمِسُونَ الصِّحَّةَ وَالْبَرَكَةَ فَيُحَاوِلُ نُصْحَهُمْ، وَتَدُورُ الْمُنَاقَشَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ:

يُونسُ: يا أَخِي؟ كَيْفَ تَحُكُّ جِسْمَكَ بِهٰذَا الصَّنَمِ الَّذِي حَكَّهُ مِنْ قَبْلِكَ هٰذَا الْأَجْرَبُ الَّذِي تَنَاثَرَ جِلْدُهُ مِنَ الْجَرَبِ؟

فَيَرُدُّ عَلَيْهِ الرَّجُلُ:

مَاذَا تَقُولُ يَا هٰذَا؟! أَلَا تَعْلَمُ أَنَّهُ إِلٰهُ الشِّفَاءِ؟ يَشْفِي الْأَجْرَبَ وَالْمَمْعُودَ وَالْمَصْدُورَ.

فَيَقُولُ يُونسُ:

إنَّ هٰذَا الصَّنَمَ لَا يَمْنَحُ الشِّفَاءَ لِلْمَرْضَى ، وَسَتَرَى بَعْدَ حِينٍ أَنَّكَ جِئْتَهُ مَمْعُودًا ، وَسَوْفَ تَعُودُ إِلَى بَيْتِكَ بِمَرَضَيْنِ : دَاءِ الْمَعِدَةِ ، وَدَاءِ الْجَرَبِ .

فَيَقُولُ الرَّجُلُ : مَنِ الشَّافِي إِذَنْ ؟

وَيُجِيبُ يُونسُ : اللهُ الَّذِي خَلَقَكَ وَمَنَحَكَ الْحَيَاةَ ، وَهُوَ الَّذِي يُطْعِمكَ وَيَسْقِيكَ ، وَإِذَا مَرِضْتَ فَهُوَ يَشْفِيكَ .

يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى يُونسَ بِجَانِبِ عَيْنِهِ ، وَيَعْبَسُ فِي وجْهِهِ وَيَقُولُ لَهُ سَاخِرًا مُتَهَكِّمًا :

أَتَظُنُّنِي مَعْتُوهًا مِثْلَكَ ، أَعْتَرِفُ بِإِلٰهٍ لَا أَرَاهُ ، وَلَا أَعْرِفُ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ ؟ ! !

اِذْهَبْ مِنْ أَمَامِي قَبْلَ أَنْ أُبَلِّغَ عَنْكَ الْجُنُودَ .

يَتْرُكُ يُونسُ هٰذَا الْمُصَابَ الْبَائِسَ ، وَيَذْهَبُ إِلَى مَنْزِلِ أَحَدِ أَقَارِبِهِ ، فَيَجِدُ زَوْجَتَهُ تَتَعَلَّقُ بِثَوْبِهِ ، وتَرْجُوهُ أَنْ يُبْقِيَ لَهَا شَيْئًا مِنَ الْمَالِ لِأَوْلَادِهِ الَّذِينَ يَتَضَوَّرُونَ مِنَ الْجُوعِ ، وهُوَ مُصِرٌّ عَلَى أَنْ يَحْمِلَ جَمِيعَ مَا عِنْدَهُ مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ إِلَى صَنَادِيقِ الْآلِهَةِ ، فَيَقِفُ يُونسُ فِي وجْهِهِ .

أَيْنَ تَذْهَبُ بِهٰذَا كُلِّهِ ؟!!

- إِلَى آلِهَةِ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ .

وَمَاذَا تَرَكْتَ لِأَوْلَادِكَ ؟!

وَهَلْ يَنْفَعُهُمُ الْمَالُ إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْهِمُ الْآلِهَةُ ؟

إِنَّ هٰؤُلَاءِ الْأَطْفَالَ الْعِجَافَ الْمَهْزُولِينَ أَحَقُّ مِنْ آلِهَتِكَ بِهٰذَا الْمَالِ ، وَالْإِلٰهُ الْحَقُّ هُوَ الَّذِي يُعْطِي وَلَا يَأْخُذُ أَرْزَاقَ النَّاسِ .

الرَّجُلُ : أَتَكْفُرُ بِآلِهَتِنَا ؟!

يُونُسُ : لَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلٰهٌ وَاحِدٌ هُوَ اللهُ الرَّازِقُ الْقَهَّارُ .

أَتَظُنُّنِي مَعْتُوهًا مِثْلَكَ أَعْتَرِفُ بِإِلٰهٍ لَا أَرَاهُ ، وَلَا أَعْرِفُ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ ، اِذْهَبْ يَا يُونُسُ قَبْلَ أَنْ أُبَلِّغَ عَنْكَ الْجُنُودَ .

يَخْرُجُ يُونُسُ يَائِسًا حَزِينًا ، يَدْعُو اللهَ أَنْ يَهْدِيَ قَوْمَهُ إِلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ ، فَيَهِيمُ بَيْنَ الْمَزَارِعِ وَالْحُقُولِ ، بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْمَاءِ وَالشَّجَرِ وَالثَّمَرِ ، وَالطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ ، فَيَجِدُ الطُّيُورَ تَلْتَقِطُ الْحَبَّ وَتَطِيرُ إِلَى أَعْشَاشِهَا لِتَزُقَّ فِرَاخَهَا ، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ ، تُرَدِّدُ دُعَاءَ الشُّكْرِ لِرَازِقِهَا ، فَتُغَرِّدُ

بِصَوْتِهَا الْعَذْبِ الْجَمِيلِ ، وَيَجِدُ الشَّجَرَ وَالنَّبَاتَ يَمْتَصُّ غِذَاءَهُ مِنْ أَرْضِ اللهِ ، ثُمَّ يَتَرَنَّمُ بِخَفِيفِ الْهَوَاءِ مُرَدِّدًا آيَاتِ الشُّكْرِ لِلْخَالِقِ الرَّزَّاقِ .

يَسْمَعُ هٰذَا وَذَاكَ ، وَيَعْجَبُ لِذٰلِكَ الْإِنْسَانِ الَّذِي وَهَبَ اللهُ لَهُ الْعَقْلَ وَالْمَعْرِفَةَ ، وَفَضَّلَهُ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ! !

كَيْفَ يَضِلُّ طَرِيقَ اللهِ ؟ ! فَيَعْبُدَ حَجَرًا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ ، وَيَحْرِمَ أَوْلَادَهُ زَادَ الْحَيَاةِ ، لِيُقَدِّمَهُ قُرْبَانًا لِلْمَلِكِ وَالْأُمَرَاءِ الْمُتَطَفِّلِينَ عَلَى أَرْزَاقِ النَّاسِ ، وَلَا عَمَلَ لَهُمْ إِلَّا حَمْلُ كُرُوشِهِمُ الْمُنْبَعِجَةِ ، وَحَشْوُهَا بِمَا اغْتَصَبُوه مِنْ صَحْفَةِ الْفُقَرَاءِ الْبَائِسِينَ .

يُفَكِّرُ يُونُسُ فِي كُلِّ هٰذَا ، فَتَنْحَدِرُ دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ رَحْمَةً بِقَوْمِهِ وَأَسَفًا عَلَيْهِمْ .

٢

ظَلَّ يُونُسُ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ سَنَةً ، فَلَمْ يُؤْمِنْ مَعَهُ غَيْرُ رَجُلَيْنِ ، وَلٰكِنَّ إِيمَانَهُمَا ظَلَّ سِرًّا مَكْتُومًا عَلَى أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِمَا ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنْ هِدَايَةِ قَوْمِهِ دَعَا عَلَيْهِمْ ، وَطَلَبَ مِنَ اللهِ أَنْ يُعَجِّلَ لَهُمُ الْعِقَابَ ، وَيُهْلِكَهُمْ جَمِيعاً كَمَا أَهْلَكَ أُمَمًا كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ ، فَهَبَطَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الأَمِينُ — جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ .

وَقَالَ لَهُ :

يَا يُونُسُ ؛ لِمَاذَا تَعْجَلُ عَلَى قَوْمِكَ ، وَتَطْلُبُ هَلاَكَهُمْ وَقَدْ أَرَادَ اللهُ لَهُمُ التَّوْبَةَ ، وَكَتَبَ لَهُمُ الإِيمَانَ فِي لَوْحِهِ الْمَحْفُوظِ ؟

قَالَ يُونُسُ :

مَا رَأَيْتُ مِنْهُمْ إِلَّا إِصْرَارًا عَلَى الْكُفْرِ ، وَتَمَسُّكاً بِعِبَادَةِ الأَصْنَامِ .

قَالَ جِبْرِيلُ :

إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُتَابِعَ دَعْوَتَكَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَإِنْ

تَابُوا وَآمَنُوا غَفَرَ لَهُمْ ، وَجَعَلَ لَكَ ضِعْفَ ثَوَابِهِمْ جَمِيعًا ، وَإِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا أَهْلَكَهُمْ .

عَادَ يُونُسُ إِلَى قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ صَبَاحَ مَسَاءَ ، وَهُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ، فَلَمَّا كَثُرَ إِلْحَاحُهُ عَلَيْهِمْ ، وَتَسْفِيهُهُ لِآلِهَتِهِمْ وَشَوْا بِهِ إِلَى الْحَاكِمِ .

أَرْسَلَ الْحَاكِمُ الْجُنُودَ فَجَاءُوا بِهِ إِلَى صَحْنِ الْمَعْبَدِ الْوَاسِعِ ، عَلَى مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ أَقْبَلُوا لِمُشَاهَدَةِ جَزَاءِ هٰذَا الرَّجُلِ الَّذِى يُنْكِرُ آلِهَتَهُمْ ، وَيَجْرُؤُ عَلَى التَّعْرِيضِ بِالْمَلِكِ الْعَزِيزِ ابْنِ الْإِلٰهِ الْأَكْبَرِ ، فَازْدَحَمَ بِهِمُ الْمَكَانُ ، وَجَاءَ الْمَلِكُ وَحَاشِيَتُهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ ، وَحَوْلَهُمُ الْجُنْدُ بِالسِّلَاحِ .

قَالَ الْمَلِكُ :

يَا رَجُلُ ؛ مَنْ إِلٰهُكَ ؟

قَالَ يُونُس :

الَّذِى يُعْطِي النَّاسَ أَرْزَاقَهُمْ .

قَالَ الْمَلِكُ :

أَلَيْسَ هٰذَا الصَّنَمُ إِلٰهَ الرِّزْقِ وَالْخَيْرَاتِ ؟

قَالَ يُونُسُ :

نَعَمْ ، لَيْسَ هٰذَا بِإِلٰهٍ ، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ أَرْزَاقَ النَّاسِ ، وَأَوْلَادُهُمْ عُرَاةٌ جَائِعُونَ ، وَلَوْ كَانَ رَازِقًا لَرَزَقَ نَفْسَهُ وَتَرَكَ أَمْوَالَ هٰؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ .

قَالَ أَمِيرٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ :

اقْتُلُوا هٰذَا الْأَفَّاكَ .

قَالَ الْمَلِكُ :

لَا نَقْتُلُهُ حَتَّى يَقْتَنِعَ النَّاسُ بِكَذِبِهِ وَضَلَالِهِ .

قَالَ الْأَمِيرُ :

مَنْ إِلٰهُكَ يَا رَجُلُ ؟ !

قَالَ يُونُسُ :

اللهُ الْخَالِقُ الْقَوِيُّ الْقَدِيرُ .

قَالَ الْمَلِكُ :

أَيَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يَمْنَعَ الْعَذَابَ عَنْكَ ؟

قَالَ يُونُسُ :

نَعَمْ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ .

قَالَ الْمَلِكَ :

إِذَنْ اطْلُبْ مِنْ رَبِّكَ أَنْ يَمْنَعَ عَنْكَ عَذَابِي ؛ ثُمَّ أَمَرَ الْجَلاَّدِينَ ، فَانْهَالَتْ السِّيَاطُ عَلَى جِسْمِ يُونُسَ ، فَمَزَّقَتْ ثِيَابَهُ ، وَمَزَّقَتْ جِلْدَهُ ، وَنَزَفَ دَمُهُ غَزِيرًا ، وَهُوَ صَابِرٌ لاَ يَئِنُّ وَلاَ يَتَأَوَّهُ ، وَمَا زَالُوا بِهِ حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ ، وَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ لاَ يَسْتَطِيعُ حَرَاكاً .

ضَحِكَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، وَقَالُوا :

غَلَبَ رَبُّنَا رَبَّهُ .

قَالَ الْمَلِكُ :

يَا عِبَادِي ، أَرَأَيْتُمْ مَا حَلَّ بِهَذَا الْمَجْنُونِ الَّذِي يُنْكِرُ مَا تَعْبُدُونَ ؟

قَالُوا :

نَعَمْ ، وَصَارَ أَمْرُهُ عِبْرَةً وَعِظَةً لِكُلِّ جَاحِدٍ لآلِهَتِنَا .

قَالَ الْمَلِكُ :

عُودُوا إِلَى أَعْمَالِكُمْ ، وَاتْرُكُوهُ هُنَا فِى بَرْدِ اللَّيْلِ قُرْبَانًا لِلآلِهَةِ .

عَادَ الْمَلِكُ إِلَى قَصْرِهِ ، وَانْفَضَّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ ، فَذَهَبُوا إِلَى أَعْمَالِهِمْ حَتَّى جَنَّ اللَّيْلُ وَأَقْبَلَ الظَّلَامُ ، فَأَوَى كُلٌّ إِلَى بَيْتِهِ ، وَتَرَكُوا يُونُسَ فِى صَحْنِ الْمَعْبَدِ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ، يَفْتَرِشُ الأَرْضَ ، وَيَلْتَحِفُ بِالسَّمَاءِ ، وَقَدْ خَيَّمَ عَلَيْهِ سُكُونُ اللَّيْلِ وَظَلَامُهُ .

٣

كانَتْ مَدِينَةُ نِيْنَوى فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ نَائِمَةً فِي الظَّلَامِ، فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ هَبَّتْ عَاصِفَةٌ شَدِيدَةٌ، وَسَرَى صَوْتُهَا مَعَ الْهَوَاءِ كَعُوَاءِ الذِّئَابِ الْجَائِعَةِ، فَسَكَنَ النَّاسُ وَهَدَأَتِ الشَّوَارِعُ، وَخَلَتْ مِنَ الْمَارَّةِ، حَتَّى رِجَالُ الشُّرْطَةِ الَّذِينَ يَتَدَثَّرُونَ بِمَلَابِسِهِمُ الصُّوفِيَّةِ، فَقَدْ لَجَئُوا إِلَى مَخَابِئَ لِتَحْمِيَهُمْ مِنْ شَرِّ هٰذِهِ الْعَاصِفَةِ الَّتِي لَا تَرْحَمُ.

فُتِحَ بَابٌ فِي زُقَاقٍ، وَأَطَلَّ مِنْهُ رَأْسُ إِنْسَانٍ فَنَظَرَ يَمِينًا وَيَسَارًا، ثُمَّ مَشَى عَلَى أَصَابِعِ قَدَمَيْهِ إِلَى بَابِ الدَّارِ الْمُجَاوِرَةِ، وَنَقَرَ عَلَيْهِ بِإِصْبَعِهِ نَقْرًا خَفِيفًا، فَسَمِعَ صَوْتَ صَاحِبِهِ يَسْأَلُهُ: مَنِ الطَّارِقُ؟

قَالَ الْأَوَّلُ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ.

فَتَحَ الثَّانِي الْبَابَ، وَدَخَلَ الْأَوَّلُ، وَقَالَ لَهُ:

تَعَالَ مَعِي لِنُكَرِّمَ نَبِيَّنَا بِدَفْنِ جُثَّتِهِ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ الصَّبَاحُ، فَتَنْهَشَهَا جَوَارِحُ الطَّيْرِ وَكِلَابُ الْحَيِّ.

سَارَا مَعًا يَتَحَسَّسَانِ الطَّرِيقَ بِجَانِبِ الْجُدْرَانِ ، وَقَدْ لَفَّهُمَا الظَّلَامُ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى صَحْنِ الْمَعْبَدِ ، فَسَمِعَا أَنِينًا خَافِتًا ، هُوَ أَنِينُ يُونُسَ ، وَاتَّجَهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ خَلَعَ الْأَوَّلُ عَبَاءَتَهُ فَلَفَّهُ بِهَا ، وَتَعَاوَنَا عَلَى حَمْلِهِ ، وَخَرَجَا بِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ لَيْلًا .

أَفَاقَ يُونُسَ مِنْ غَشْيَتِهِ فِي الصَّبَاحِ ، فَوَجَدَ الرَّجُلَيْنِ الْمُؤْمِنَيْنِ مَعَهُ قَدْ عُنِيَا بِهِ ، وَغَسَلَا جِرَاحَهُ ، فَاعْتَمَدَ عَلَيْهِمَا ، وَوَقَفَ عَلَى رِجْلَيْهِ بِعَنَاءٍ شَدِيدٍ . ثُمَّ سَارَ مَعَهُمَا إِلَى قَرْيَةٍ مُجَاوِرَةٍ ، فَنَزَلُوا فِي مَنْزِلِ صَدِيقٍ رَحَّبَ بِهِمْ ، وَأَكْرَمَ وِفَادَتَهُمْ ، فَمَكَثُوا فِي ضِيَافَتِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، حَتَّى سَكَنَتْ آلَامُ يُونُسَ ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَعُودَ إِلَى نِينَوَى عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ الْمُحَاوَلَاتِ الَّتِي بَذَلَهَا صَاحِبَاهُ لِيَحُولَا دُونَ عَوْدَتِهِ إِلَيْهَا ، خَوْفًا مِنْ بَطْشِ الْمَلِكِ وَسُخْرِيَةِ النَّاسِ .

عَادَ يُونُسُ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيْلًا ، فَوَجَدَ اسْمَهُ يَتَرَدَّدُ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ ؛ مِنْهُمُ الشَّامِتُونَ ، وَمِنْهُمُ الْمُتَرَحِّمُونَ ، وَكُلُّهُمْ يَظُنُّ أَنَّ الْآلِهَةَ قَدْ أَحْرَقَتْ جُثَّتَهُ بِصَاعِقَةٍ ، وَطَيَّرَتْ تُرَابَهَا هَبَاءً فِي الْفَضَاءِ .

كَانَ قَدْ مَضَى عَلَيْهِ سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ يَوْمًا مِنْ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ ، وَصَارَ يَدْعُوهُمْ لِلْهِدَايَةِ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ غَضَبُ اللهِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ بَيْنَهُمْ مِنْ جَدِيدٍ فَرُّوا أَمَامَهُ خَائِفِينَ ، كَأَنَّهُ عِفْرِيتٌ خَارِجٌ مِنَ الْقُبُورِ ، وَكَانَ يُونُسُ حَرِيصًا عَلَى أَنْ يَتَهَدَّدَهُمْ وَيُخَوِّفَهُمُ الْعَذَابَ ، فَذَهَبَ إِلَى الْمَيْدَانِ الْكَبِيرِ أَمَامَ قَصْرِ الْمَلِكِ ، وَصَارَ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

يَا قَوْمُ ! اللهَ اللهَ !! الْعَذَابَ الْعَذَابَ !! الْغُرُوبَ الْغُرُوبَ !!

خَرَجَ الْمَلِكُ وَأَرْسَلَ الْجُنُودَ فَقَبَضُوا عَلَيْهِ ، وَجَاءَ النَّاسُ مِنَ الْحُقُولِ وَالدُّورِ يَتَزَاحَمُونَ عَلَى رُؤْيَةِ هٰذَا الرَّجُلِ الْمُسْتَهِينِ بِحَيَاتِهِ ، وَسِيقَ يُونُسُ حَتَّى كَانَ أَمَامَ الْمَلِكِ ، وَالْجُنُودُ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ قَدْ سَلُّوا سُيُوفَهُمْ يَنْتَظِرُونَ إِشَارَةً مِنَ الْمَلِكِ لِيَقْطَعُوا جِسْمَهُ إِرْبًا إِرْبًا .

قَالَ الْمَلِكُ :

مَاذَا تُرِيدُ أَيْضًا ؟ أَلَمْ يَكْفِكَ مَا نَالَكَ مِنْ عَذَابِ الْمَعْبَدِ فَجِئْتَ لِتَأْخُذَ الْكَيْلَ مُضَاعَفًا هُنَا ؟ !

قَالَ يُونسُ :

أَلا فَاعْلَمُوا جَمِيعاً أَنَّكُمْ تَعْبُدُونَ أَصْنَامًا لَا حَوْلَ لَهَا وَلَا قُوَّةَ وَأَنَّ اللهَ حَقٌّ ، وَهُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَخْسِفَ الأَرْضَ بِكُمْ .

أَلا فَاشْهَدُوا أَنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِنِّى قَدْ بَلَّغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا فَسَيَأْتِيكُمُ الْعَذَابُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ .

غَضِبَ الأُمَرَاءُ وَأَشَارُوا عَلَى الْمَلِكِ بِقَتْلِهِ ، فَابْتَسَمَ الْمَلِكُ وَقَالَ لَهُمْ : مَهْلًا حَتَّى تَسْمَعُوا بَاقِىَ أَكَاذِيبِهِ وَتُرَّهَاتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى يُونُسَ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ يَكُونُ الْعَذَابُ يَا هٰذَا . اِرْفَعْ صَوْتَكَ وَأَسْمِعِ النَّاسَ جَمِيعاً .

قَالَ يُونُسُ : إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا الْيَوْمَ فَإِنَّ أَلْوَانَكُمْ تَتَغَيَّرُ غَدًا ، وَيَأْتِيكُمُ الْعَذَابُ بَعْدَ غَدٍ .

ضَحِكَ الْمَلِكُ وَقَالَ : سَنُمْهِلُكَ لِلْغَدِ حَتَّى يَعْرِفَ النَّاسُ كَذِبَكَ . فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

٤

وَلَمَّا أَصْبَحَ الصُّبْحُ تَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهُمْ ، فَفَزِعُوا وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مَا قَالَ يُونُسُ ، وَلَمْ نُجَرِّبْ عَلَيْهِ كَذِبًا .

قَالَ آخَرُونَ : انْتَظِرُوا حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسَاءُ ، فَإِنْ يَبِتْ فِي الْمَدِينَةِ فَأَنْتُمْ فِي أَمْنٍ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي وَعَدَكُمْ ، وَإِنْ خَرَجَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَإِنَّ الْعَذَابَ سَيَحُلُّ بِكُمْ فِي الصَّبَاحِ ، فَنُسَارِعُ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ قَبْلَ نُزُولِ الْعَذَابِ .

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْأَرْبَعِينَ أَيْقَنَ يُونُسُ بِنُزُولِ الْعَذَابِ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ مِنْ بُعْدِ النَّاسِ عَنْهُ ، وَنُفُورِهِمْ مِنْهُ ، فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ يَتَوَعَّدُ أَهْلَهَا بِعَذَابِ الْغَدِ .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ غَشِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ غَيْمٌ أَسْوَدُ يُدَخِّنُ دُخَانًا شَدِيدًا ، ثُمَّ نَزَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ فَاسْوَدَّتِ الْمَبَانِي ، وَكَادَ الْقَوْمُ يَخْتَنِقُونَ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ أَيْقَنُوا بِالْهَلَاكِ ، وَطَلَبُوا يُونُسَ لِيَتُوبُوا عَلَى يَدَيْهِ ، فَلَمْ يَجِدُوهُ وَوَجَدُوا دَارًا قَدِ انْقَشَعَ الْغَيْمُ عَنْهَا ، فَدَخَلَ بَعْضُهُمْ فِيهَا يَحْتَمِي

مِنَ الدُّخَانِ ، وَوَجَدُوا رَجُلَيْنِ مُؤْمِنَيْنِ هُمَا صَاحِبَا يُونُسَ ، كَانَا يَدْعُوَانِ اللهَ لِقَوْمِهِمَا بِالْهِدَايَةِ ، وَرَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذٰلِكَ مِنْهُمَا قَالُوا لَهُمَا : قَدْ آمَنَّا بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ ، وَصَدَّقْنَا بِمَا تُصَدِّقُونَ ، وَطَلَبْنَا يُونُسَ لِنُؤْمِنَ عَلَى يَدَيْهِ ، وَيُعَلِّمَنَا الدِّينَ ، وَلٰكِنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَأَحْدَقَ بِهَا الْعَذَابُ ، فَاخْرُجَا إِلَى قَوْمِكُمَا لِتُعَلِّمَاهُمْ مَا يَفْعَلُونَ .

خَرَجَ الرَّجُلَانِ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَهُمَا ، وَقَدْ تَكَاثَفَ الدُّخَانُ ، وَلَمَعَ الْبَرْقُ ، وَقَصَفَ الرَّعْدُ ، وَاشْتَدَّ ضِيقُ النَّاسِ وَفَزَعُهُمْ ، وَزَاغَتْ أَبْصَارُهُمْ .

قَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ الْمُؤْمِنَيْنِ :

يَأَيُّهَا النَّاسُ ؛ ادْعُوا مَعِي بِهٰذَا الدُّعَاءِ : يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ حِينَ لَا حَيَّ غَيْرُكَ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ وَلَا إِلٰهَ غَيْرُكَ .

تَحَرَّكَتِ الْأَلْسِنَةُ وَرَدَّدَتْ هٰذَا الدُّعَاءَ ، وَتَسَرَّبَتْ أَنْوَارُ الْإِيمَانِ إِلَى صُدُورِهِمْ ، وَنَزَلَتْ دُمُوعُ التَّوْبَةِ عَلَى خُدُودِهِمْ ، فَانْجَابَتِ السُّحُبُ ، وَانْكَشَفَتِ السَّمَاءُ ، وَأَقْلَعَ عَنْهُمُ الْعَذَابُ ، وَقَدْ صَارُوا جَمِيعًا إِخْوَانًا فِي دِينِ اللهِ ، فَرَدُّوا الْمَظَالِمَ إِلَى أَهْلِهَا ،

حَتَّى إِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ كَانَ يَقْلَعُ الْحَجَرَ مِنْ دَارِهِ ، وَيُعِيدُهُ إِلَى صَاحِبِهِ ، ثُمَّ فَرَّقُوا الْمَالَ بِالتَّسَاوِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفُقَرَاءِ .

قَبِلَ اللهُ تَوْبَتَهُمْ وَكَشَفَ عَنْهُمُ الْعَذَابَ ، وَإِذَا سَحَابٌ مُمْطِرٌ يَغْسِلُ دُورَهُمْ مِمَّا عَلِقَ بِهَا مِنَ السَّوَادِ ، وَيُرْوِي الْأَرْضَ ، ثُمَّ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ تُعْلِنُ السَّلَامَ لِلنَّاسِ ، فَكَانَ أَوَّلَ عَمَلٍ قَامُوا بِهِ هُوَ هَدْمُ مَعَابِدِ الْوَثَنِيَّةِ ، وَتَكْسِيرُ الْأَصْنَامِ ، وَبِنَاءِ الْمَعَابِدِ الَّتِي يُقِيمُونَ فِيهَا شَعَائِرَ الدِّينِ الْجَدِيدِ ، فَاسْتَقَامَتْ حَيَاتُهُمْ ، وَحَسُنَ إِيمَانُهُمْ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا
قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا
أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة يونس – الآيتان من ٩٨ ، ٩٩]

ظَلَّ يُونُسُ بَعِيدًا عَنِ الْمَدِينَةِ يَنْتَظِرُ أَخْبَارَ الْعَذَابِ الَّذِي نَزَلَ بِهَا ، وَكُلَّمَا مَرَّ بِهِ إِنْسَانٌ سَأَلَهُ عَنْ حَالِهَا وَمَا حَصَلَ لِسُكَّانِهَا ، فَكَانَتِ الْإِجَابَةُ عَلَى غَيْرِ مَا كَانَ يَرْجُو وَيَنْتَظِرُ .

وَكَانَ أَهْلُ نِينَوَى يَبْحَثُونَ عَنْهُ ، وَقَدْ أَوْفَدُوا أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ آمَنَا بِهِ لِيَدْعُوَهُ إِلَيْهِمْ ، وَيَعُودَ إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا فَيَكُونَ زَعِيمَهُمْ وَنَبِيَّهُمْ ، يَعْمَلُونَ بِرَأْيِهِ وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ ؛ فَلَمَّا قَابَلَهُ الرَّجُلُ عَزَّ عَلَى يُونُسَ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا ، وَقَدْ ظَنَّ أَنَّ اللهَ خَذَلَهُ فِيهَا مَرَّتَيْنِ : الْأُولَى حِينَ لَمْ يَمْنَعْ عَنْهُ الْمَلِكَ لَمَّا تَحَدَّاهُ ، وَالثَّانِيَةُ حِينَمَا أَخْبَرَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَنَعَهُ اللهُ عَنْهُمْ فَكَانَ كَذَّابًا فِي نَظَرِهِمْ .

رَفَضَ يُونُسُ الْعَوْدَةَ إِلَى قَوْمِهِ ، وَكَانَ حَانِقًا غَاضِبًا عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :

لَقَدْ آمَنُوا جَمِيعًا ، وَأَصْبَحُوا عَلَى مَا كُنْتَ تَرْجُو لَهُمْ ، فَمَا سَبَبُ غَضَبِكَ وَحَنَقِكَ ؟

قَالَ يُونُسُ : كُنْتُ أَوَدُّ أنْ يُحقِّقَ اللهُ نُبُوءَتِي ، فَيُنْزِلَ الْعَذَابَ بِقَوْمِي ، ثُمَّ يُكَرِّمَنِي بِرَفْعِهِ عَنْهُمْ عَلَى يَدِي .

قَالَ الرَّجُلُ : وَلٰكِنَّكَ فَرَرْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَحِيقَ بِهَا الْعَذَابُ ، وَلَوْ أَنَّكَ نَفَّذْتَ أَمْرَ اللهِ ، وَمَكَثْتَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلَةَ الْأَخِيرَةَ مِنَ الْأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، لَكَانَ كَشْفُ الْعَذابِ بِوَسَاطَتِكَ أَنْتَ .

قَالَ يُونُسُ : اذْهَبْ عَنِّي فَلَا أُطِيقُ أَنْ أَسْمَعَ بِقَوْمِي بَعْدَ ذٰلِكَ الْخِذْلانِ الْمَرِيرِ ؛ قَالَ ذٰلِكَ وَابْتَعَدَ عَنِ الرَّجُلِ مُغَاضِبًا ، وَقَدْ ضَعُفَ إِيمَانُهُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِاللهِ ، وَأَعْمَاهُ الْغَضَبُ ، فَهَجَرَ الدِّيَارَ وَمَشَى فِي الْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ هُدًى ، وَكُلُّ هَمِّهِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ هٰذِهِ الدِّيَارِ ، حَتَّى لَا يَرَى وَجْهَ إِنْسَانٍ عَرَفَهُ مِنْ قَبْلُ .

ظَلَّ يُونُسُ مُهَاجِرًا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، فَوَجَدَ سَفِينَةً مَشْحُونَةً بِالْمُسَافِرِينَ وَعُرُوضِ التِّجَارَةِ ، وَعَرَضَ عَلَى رُبَّانِهَا أَنْ يَحْمِلَهُ فِيهَا ، وَلَمَّا رَأَى الرُّبَّانُ عَلَى وَجْهِهِ الصَّلَاحَ وَالتَّقْوَى قَالَ فِي نَفْسِهِ : لَعَلَّ اللهَ يُكْرِمُنِي بِإِكْرَامِ هٰذَا

الرَّجُلِ الصَّالِحِ فَيَمْنَعَ عَنْ سَفِينَتِى أَخْطَارَ الْبَحْرِ بِسَبَبِهِ ، فَأَذِنَ لَهُ بِالرُّكُوبِ .

سَارَتْ السَّفِينَةُ أَيَّامًا وَلَيَالِىَ ، وَكُلَّمَا مَرَّتْ بِجَزِيرَةٍ خَرَجَ أَهْلُهَا يَتَبَادَلُونَ مَعَهَا عُرُوضَ التِّجَارَةِ ، وَتَأْخُذُ السَّفِينَةُ مِنْهَا حَاجَتَهَا مِنَ الْمَاءِ وَالطَّعَامِ ، ثُمَّ تُقْلِعُ إِلَى غَيْرِهَا ، تَدْفَعُهَا رِيحٌ هَادِئَةٌ طَيِّبَةٌ .

ثُمَّ جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ، وَخَيَّمَ عَلَيْهَا سَحَابٌ أَسْوَدُ ، فَهَاجَ الْبَحْرُ ، وَثَارَتِ الْأَمْوَاجُ ، فَاضْطَرَبَتِ الْأَحْوَالُ ، وَذُعِرَ الرُّكَّابُ ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ بِالدُّعَاءِ ، لِيُنَجِّيَهُمُ اللهُ مِنَ الْكَارِثَةِ ، وَكَانَ يُونُسُ يَدْعُو مَعَهُمْ ، فَرَأَى سَحَابًا يَخْرُجُ مِنْهُ دُخَانٌ أَسْوَدُ ، وَخَافَ خَوْفًا شَدِيدًا لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ هٰذَا الدُّخَانَ هُوَ نَذِيرُ الْعَذَابِ ، كَمَا حَصَلَ لِأَهْلِ نِينَوَى ، وَتَذَكَّرَ أَنَّهُ خَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَرَادَ إِهْلَاكَ قَوْمِهِ ، فَابْتَلَاهُ اللهُ بِالْعَذَابِ الَّذِى أَرَادَهُ لَهُمْ ، وَأُلْهِمَ أَنَّ وُجُودَهُ عَلَى ظَهْرِ هٰذِهِ السَّفِينَةِ سَيَكُونُ سَبَبًا فِى كَارِثَةٍ تَحُلُّ بِالْجَمِيعِ .

أَسْرَعَ يُونُسُ إِلَى رُبَّانِ السَّفِينَةِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ مَا تَرَوْنَهُ

الآنَ مِنْ بَوَادِرِ الْعَذَابِ بِسَبَبِ خَطِيئَتِي ، فَأَلْقُونِي فِي الْبَحْرِ يَرْفَعِ اللّٰهُ عَنْكُمُ الشَّرَّ .

قَالَ الرُّبَّانُ : إِنَّكَ أَصْلَحُ رَجُلٍ فِينَا ، وَمَا عَهِدْنَاكَ إِلَّا مُسَبِّحًا مُسْتَغْفِرًا فَالْخَطِيئَةُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَسَوْفَ نَسْتَخِيرُ اللّٰهَ فَنَقْتَرِعُ بِالسِّهَامِ عَلَى الْمُخْطِئِ بَيْنَنَا ، وَنُضَحِّي بِهِ لِسَلَامَةِ الْجَمِيعِ .

أَصَابَتِ الْقُرْعَةُ يُونُسَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانُوا يُحْجِمُونَ عَنْ إِلْقَائِهِ فِي الْبَحْرِ ، وَلٰكِنَّ يُونُسَ تَأَكَّدَ أَنَّ اللّٰهَ قَدِ ابْتَلَاهُ وَاخْتَارَهُ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ ، وَكَانَ الظَّلَامُ حَالِكًا ، وَالْمَوْجُ صَاخِبًا ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رُكَّابُ السَّفِينَةِ إِنْقَاذَهُ ، فَأَسِفُوا عَلَيْهِ ، وَتَرَحَّمُوا لَهُ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾
إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾
فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾
لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ * ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الصافات – الآيات من ١٣٩ : ١٤٤]

أَقْبَلَ الْحُوتُ فَاغِرًا فَاهُ، فَابْتَلَعَ يُونُسَ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاجِ، وَعَادَ بِهِ إِلَى مَسْكَنِهِ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ، وَأَوْشَكَتْ قِصَّةُ يُونُسَ عَلَى النِّهَايَةِ، لَوْلَا أَنَّ اللهَ أَرَادَ لَهُ الْحَيَاةَ، فَأَلْهَمَ الْحُوتَ أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهِ، فَلَا يَخْدِشَ لَهُ لَحْمًا وَلَا يَكْسِرَ عَظْمًا، فَبَقِيَ حَيًّا فِي بَطْنِ الْحُوتِ بِإِذْنِ اللهِ.

لَمَّا انْتَهَى الْحُوتُ إِلَى مَسْكَنِهِ سَمِعَ يُونُسُ حِسًّا، فَقَالَ: مَا هٰذَا؟

فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ أَنَّ هٰذَا تَسْبِيحُ دَوَابِّ الْبَحْرِ، فَأَسِفَ لِمَا بَدَرَ مِنْهُ مِنَ الْغَضَبِ، وَظَلَّ يُسَبِّحُ اللهَ وَيَسْتَغْفِرُهُ حَتَّى سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِيحَهُ فَقَالُوا:

رَبَّنَا نَسْمَعُ صَوْتًا ضَعِيفًا بِصُورَةٍ غَرِيبَةٍ.

قَالَ تَعَالَى: ذٰلِكَ عَبْدِي يُونُسُ، عَصَانِي فَحَبَسْتُهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ.

قَالُوا: لَقَدْ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا، يَصْعَدُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ عَمَلٌ

صَالِحٌ ، وَشَفَعُوا لَهُ ، فَأَلْهَمَ اللهُ يُونُسَ شَفَاعَةَ الْمَلَائِكَةِ ، فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ : أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .

اسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ ، وَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ .

قَبِلَ اللهُ تَوْبَةَ يُونُسَ، وَأَمَرَ الْحُوتَ أَنْ يُسْرِعَ بِهِ إِلَى الْبَرِّ، فَيَنْبُذَهُ عَلَى الْأَرْضِ بِالْعَرَاءِ ، وَأَخَذَ الْحُوتُ طَرِيقَهُ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَلَفَظَهُ عَلَى الْبَرِّ طَرِيًّا ضَعِيفاً ، لَا يَتَحَمَّلُ حَرَارَةَ الْقَيْظِ ، وَلَا بَرْدَ اللَّيْلِ ، كَمَا يَنْزِلُ الطِّفْلُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ .

أَنْبَتَ اللهُ بِجَانِبِهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (أَيْ شَجَرَةَ قَرْعٍ) مَدَّتْ فُرُوعَهَا فَوْقَهُ ، وَغَطَّتْهُ أَوْرَاقُهَا الطَّرِيَّةُ ، وَأَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِ دَابَّةً وَحْشِيَّةً كَانَتْ تُرْضِعُهُ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ ، حَتَّى صَلُبَ عُودُهُ ، وَعَادَتْ إِلَيْهِ قُوَّتُهُ ، فَيَبِسَتِ الشَّجَرَةُ ، وَجَفَّتْ أَوْرَاقُهَا ، فَحَزِنَ عَلَيْهَا يُونُسُ وَبَكَى ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ وَقَالَ لَهُ :

يَا يُونُسُ ؛ أَتَبْكِي عَلَى هَلَاكِ شَجَرَةٍ ، وَلَا تَحْزَنُ عَلَى مِائَةِ

أَلْفٍ مِنْ قَوْمِكَ ، أَرَدْتَ إِهْلَاكَهُمْ ، وَغَضِبْتَ لِرَحْمَةِ اللّٰهِ بِهِمْ

قَالَ يُونُسُ : إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .

قَالَ جِبْرِيلُ : فَقُمْ وَاذْهَبْ إِلَى قَوْمِكَ ، فَهُمْ لَا يَزَالُونَ يَنْتَظِرُونَ عَوْدَتَكَ إِلَيْهِمْ ، فَقَدْ عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ وَعَنْهُمْ .

اتَّجَهَ يُونُسُ إِلَى بِلَادِ الْمَوْصِلِ عَائِدًا إِلَى قَوْمِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى نَيْنَوَى جَلَسَ يُعِدُّ نَفْسَهُ لِلِقَاءِ قَوْمِهِ ، الَّذِينَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الشِّرْكِ إِلَى نُورِ الإِيمَانِ، وَطَهَّرَهُمْ مِنْ آثَامِهِمُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا فِي جَهَالَتِهِمْ ، فَكَأَنَّمَا وُلِدُوا مِنْ جَدِيدٍ، فَذَكَرَ أَنَّهُ مِثْلُهُمْ قَدْ مَرَّتْ بِهِ أَحْوَالٌ مِثْلُ أَحْوَالِهِمْ، حَتَّى إِذَا لَفَظَهُ الْحُوتُ كَانَ كَأَنَّمَا وُلِدَ هُوَ أَيْضًا مِنْ جَدِيدٍ فَقَالَ : مَا أَشْبَهَنِي بِقَوْمِي ، وَمَا أَوْسَعَ حِلْمَ رَبِّي ، وَأَقْرَبَ صَفْحَهُ وَرَحْمَتَهُ .

مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَيْنَوَى عَلَى يُونُسَ وَهُوَ غَارِقٌ فِي تَفْكِيرِهِ وَتَأَمُّلَاتِهِ ، فَعَرَفَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يُقَبِّلُ يَدَيْهِ ، وَطَارَ الْخَبَرُ فَانْتَشَرَ بَيْنَ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ ، فَخَرَجُوا لِاسْتِقْبَالِهِ وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْمَلِكُ ، جَاءُوا يَتَبَرَّكُونَ بِهِ ، وَيُظْهِرُونَ لَهُ الطَّاعَةَ

وَالْوَلَاءِ ، فَمَكَثَ فِيهِمْ بَعْدَ ذٰلِكَ أَرْبَعِينَ عَامًا ، يَعِظُهُمْ وَيَهْدِيهِمْ ، وَيَنْدَمُ عَلَى مَا فَرَّطَ فِي حَقِّ اللّٰهِ وَحَقِّهِمْ ، فَإِذَا خَلَا إِلَى نَفْسِهِ انْطَلَقَ لِسَانُهُ يُسَبِّحُ اللّٰهَ بِدُعَائِهِ الْمَعْرُوفِ الْمَأْثُورِ :

« لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ! سُبْحَانَكَ ! إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَذَا
ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي
ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧
فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الأنبياء – الآيات من ٨٧ : ٨٨]

مجموعة قصص الأنبياء

مجموعة جديدة ، فى أسلوب سهل ممتع ، وإخراج أنيق جميل ، للصغار والكبار ، تصف حياة الأنبياء ، وجليل أعمالهم ، وتسرد ما صادفهم من حوادث مع أقوامهم ، خالية من الشوائب والإسرائيليات حتى تظل العقيدة سليمة نقية تمكن الإنسان من التقرب إلى الله تعالى وحده ، والاعتصام بدينه وتعاليمه ، والتحلى بالفضائل الحسنة ، والتمسك بالأخلاق الكريمة .

برنامج المجموعة

١ – آدم	١١ – موسى والسحرة
٢ – نوح	١٢ – موسى وبنو إسرائيل
٣ – هود	١٣ – داوود
٤ – صالح	١٤ – سليمان وملك الجزائر
٥ – إبراهيم الخليل	١٥ – سليمان وبلقيس
٦ – إسماعيل الذبيح	١٦ – يونس
٧ – يوسف الصديق	١٧ – أيوب
٨ – يوسف العفيف	١٨ – ابنة عمران
٩ – يوسف على خزائن مصر	١٩ – عيسى المسيح
١٠ – موسى الرضيع	٢٠ – الحواريون

٥ قروش ج. ع. م.	٥٠ فلساً فى العراق والأردن	٧٠ فرنكاً فى المغرب
٤٠ ق . ل	٥٠ فلساً فى الكويت	٠,٦ ريالا سعودياً
٥٠ ق . س	٦٠ مليماً فى تونس	١ شلنا } فى البلاد
٥٠ مليماً فى ليبيا والسودان	٧٠ فرنكاً فى الجزائر	٠,١٤ دولاراً } الأخرى